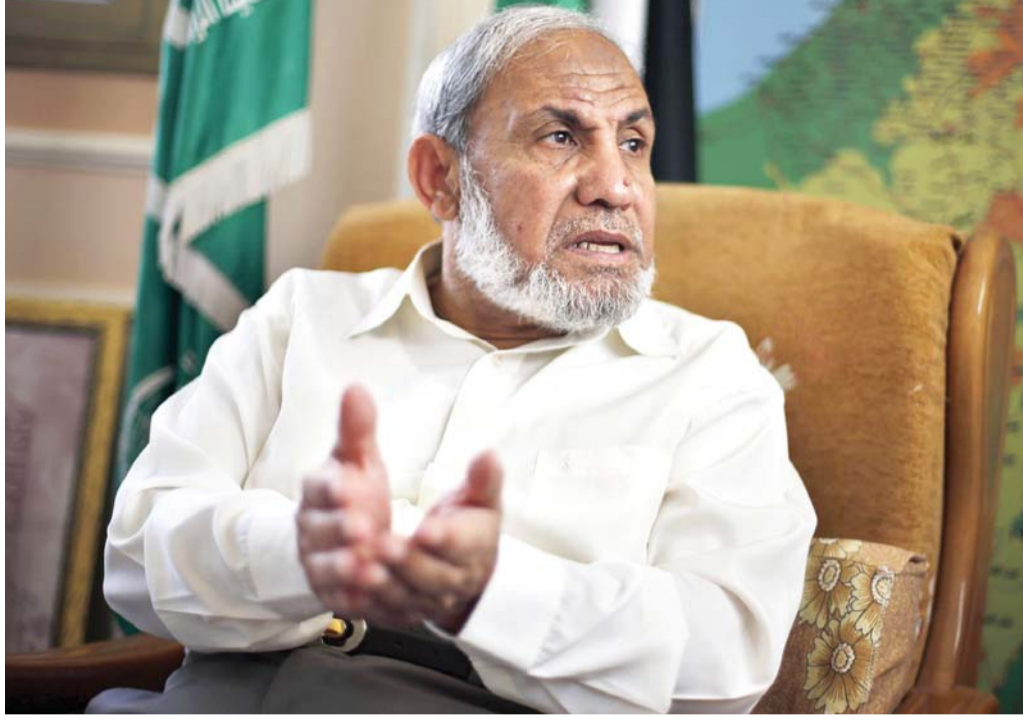


## سجل فلسطيني حول ما تبقى من منظمة التحرير

عدلي صادق  
كاتب وسياسي  
فلسطيني

عاد الفلسطينيون إلى سجلهم القديم - الجديد، حول منظمة التحرير الفلسطينية ومشروعية تمثيلها للشعب الفلسطيني. كان محمود الزهار، القيادي من حماس، هو الذي بدأ السجل بطريقته النافذة التي تعود عليها الفلسطينيون، وبات موضع سخريتهم.

أشعل الرجل السجل، بهجوم على "المنظمة"، استتبع ردوداً مستنكرة. لقد انطلق الزهار من فرضيتين، يعرف هو وحركة حماس أنهما خاطئتين. الأولى، أن هذه "المنظمة" موجودة فيزيائياً وفعالة، وأن بالإمكان، وضع الخط الذي يفصل بينها وبين السلطة الفلسطينية في الأراضي المحتلة. والفرضية الثانية أن لهذه "المنظمة"، المقترضة خطأ أنها فعالة، سيقا وسلوكا، يستدعيان أن يعاينها محمود الزهار لكي يحكم على هذه "المنظمة".

## لم يتوقف الأمر عند الزهار الذي هاجم المنظمة وكان يقصد تاريخها، فقد جاء بعده آخرون

معنى ذلك، أن المقصود مما تحدث به القيادي الحمساوي محمود الزهار، وأعطى به إشارة بدء السجل الفلسطيني الداخلي حول "المنظمة" يتعلق حصراً بتاريخ هذا الكيان الذي عرفه العالم، كممثل حصري، شرعي ووحيد، للشعب الفلسطيني.

هَبْ منتسبو الفصائل الأخرى للدفاع عن "المنظمة" بمقاصد موضوعية تعني الدفاع عن تاريخها، لاسيما وأن الطرف الذي يهاجمها لم يكن ممن التحقوا بإطارها في زمن الكفاح المسلح.

لم تكن جماعة "الإخوان" معنية بالالتحاق، شأنها في ذلك شأن "حزب التحرير الإسلامي"، ولم يكن أمام هذين الحزبين أي عائق لكي يلتحقا، عندما كانت فصائل المنظمة الرئيسية في ذروة كفاحها المسلح.

وكان "الإخوان" حاضرين في الأردن، ومقرهم الرسمي موجود منذ أيام الملك عبدالله الأول، وأيضاً حيث لم تكن هناك - وقتها - أية قضية خلافية، حول المدى الذي تتطلع حركة التحرير الفلسطينية إلى الوصول إليه، في معركتها مع الاحتلال الإسرائيلي. بل لم تكن هناك أية قضية خلافية، تتعلق باشرطات أيديولوجية.

لم يتوقف الأمر عند الإشارة بلسان محمود الزهار، الذي هاجم "المنظمة" وكان يقصد تاريخها؛ فقد جاء بعده

آخرون، من قادة "حماس" استكملوا فكرة الهجوم، مع تغيير في الصياغة، لكي تصبح "حماس" في موقع المطالبة بـ"إصلاح" منظمة التحرير. علماً أن فكرة الإصلاح قديمة، كان أول من بدأ بطرحها منذ مستهل عقد السبعينات، الدكتور جورج حبش، أمين عام "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" آنذاك.

ظل "الحكيم" يطالب بـ"الإصلاح الديمقراطي" لمنظمة التحرير، وأيامها كانت "المنظمة" هي الإطار الجامع والقوي، ولا مشكلة في المطالبة بتطويرها أو إصلاحها. فما الذي تريده "حماس" اليوم وهي تقسم السلطة مع السلطة وتحكم في غزة، بعد أن فارقت منطلقاتها الأولى؟

مثلها مثل قيادة المنظمة، بدأت "حماس" بشعارات، ثم اصطدمت بوقائع، وكلا الطرفين، بعد الاصطدام، لم يقدم النموذج السياسي المستنير ببعده الاجتماعي، بل لم يكن قادراً على ضبط تصرفه ولغته وإدارته، على النحو الذي يليق بشعب فلسطين وقضيته.

لا يختلف اثنان، لاسيما في غزة، على أن "حماس" لم تسجل لصالحها نجاحاً في الحكم، ولا قدمت نموذج السلطة المتخلفة بمبادئ إسلامية، وهذا أقل ما توصف به انتباعات المواطنين عن تجربتها، وقد أصابهم بكل أنواع البؤس وانسداد الأفق، والاستبداد.

كل شيء، أو كل فكرة استخدمتها للروج فعلت عكسها: بدأت ضد التسوية، وأصبحت معها وتنتظرها بصيغ أراء، ولا علاقة لها بالأمنيات الوطنية وبالديمقراطية. بل لا يزعجها أن يظل الانقسام إلى الأبد لكي تحكم شأنها في ذلك شأن محمود عباس.

بدأت بشعارات انتخابية تطلب الشعب بالتمسك "للمسلم القومي الأمين" فاستحالت سلطة ريعية تمتص المجتمع، ويضرب "القوي الأمين" الناس بالكرابيج، وتنشأ في أكتافه طبقة متربحين وأثرياء. فما هو إذا، القصد من الهجوم على تاريخ منظمة التحرير في هذا الوقت الذي بات الفلسطينيون فيه، أحوج ما يكونون إلى الوحدة؟

الإقليمية والدولية؛ وهل "المنظمة" حقيبة دولارات ينقلها سفير قطر، محمد العمادي، من الدوحة إلى غزة، عبر إسرائيل، فتصل أمانة؟ بل أي إصلاح هذا ولاي وضع، إن لم يكن وضع منظمة التحرير قائماً أصلاً؛ لماذا تصر الطبقة السياسية الفلسطينية، في غزة ورام الله، على الاستمرار في بيع الأوهام، بدل التمكين للإرادة الشعبية، والتصرف بنزاهة وشرف، لكي يعرف الشعب الفلسطيني كيف يتلمس طريقه لنيل التحرر من الاحتلال.

هؤلاء يريدون أن يظلوا هم القادة في كل المراحل، ورغمًا عن الناس، وأن يكونوا هم أصحاب الحق الحصري في رسم خرائط الطرق، دون أن يفلحوا في رسم خارطة طريق واحدة.

ربما أرادت جماعة "الإخوان" في فئتها التركي القطري، أن يستحوذ فرعها الفلسطيني على منظمة التحرير، تحت عنوان إصلاحها، للاستفادة من مشروعيتها الدولية. فجماعة "الإخوان" ليست محظورة في عواصم الغرب والشرق، وبخاصة بريطانيا صديقها التقليدية. بخلاف هذا الافتراض، لا معنى في الواقع للقول إن الإصلاح المرجئ هو ذلك الذي يتحقق عن طريق ما يسمى "برنامج المقاومة". لنفترض أن هذا هو ما تريده الجماعة، وأنها لا تراوغ، فكيف يمكن إعادة جسم "المنظمة" الذي بُني ومضى في مسيرته على مدى نصف قرن في الخارج؟ وما هو البلد العربي الذي يمكن أن يستضيف منظمة التحرير، بجيشها وإدارتها، في هذه الظروف

إن للشهارة التي أطلقها الزهار غرضاً واحداً، وهو محاولة الحصول على مشروعية "المنظمة" بذريعة أنها في حاجة إلى إصلاح. ولعل ما يدعو إلى السخرية في هذا المنطق، أن الزهار الذي انفردت حركته بحكم غزة، يتحدث عن منظمة التحرير باعتبارها ذات سمعة سيئة، وهو يعلم أن سلطته، ولأسباب موضوعية، هي الأجدر بالهجوم من سواها، والأولى بتحسين سمعتها. هذا المنطق، على فجاجته، أقل عرضة للاستئناس من منطق إسماعيل هنية، الذي ينادي إلى طلب إصلاح "المنظمة" التي لا يعلم أين سجدها، ودون أن يبدأ هو أولاً بإصلاح نفسه وإصلاح حكم حماس. فالأجدر البدء بإصلاح الموجود الفعال الذي يمارس السلطة منفرداً، ويفرض نفسه على غزة، وليس "المنظمة" التي لا يعرف أحد أين تبدأ وأين تنتهي.

## الإرهاب والاستبداد.. تفكيك الأول يقضي على الثاني

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير

مختار الدبابي

كرم نعمة

حذام خريف

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة العقبوي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

عبدالرازق كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، وجزءه الأزهر من شهادة العالمية، وأخرجه من "زمرة العلماء". وفي عام 1945 قضى الأزهر بأن الكتاب لا يتعارض مع الدين، وأعيد إليه الاعتبار، وعين وزيراً للأوقاف عام 1948. رافقه الجرح القديم حتى وفاته عام 1966 إذ قال محمود أمين العالم "اطبعوا الكتاب كما تشاؤون، لكن دون استئذان". اطلعوه على مسؤوليتكم، ولا تطلبوا مني إنذا بغير ضمان أكيد أطمئن إليه". تجربة علي عبدالرازق، من المحاكمة إلى الخوف المزمع، أثبتت صعوبة الخروج من الإصطفاة، فلا يتسع صدر المؤسسة الدينية الرسمية لمجتهد، وأما المؤسسة السياسية فتغازل المتطرفين بالوصم، وإذا حاولوا اغتراق نصيب من السلطة طارتهم واعتقلتهم، ولو بذلت جهوداً في تقييض أفكارهم، ما نشأت "جماعة المسلمين" المشهورة إعلامياً بجماعة "التكفير والهجرة". وقد خرج أعضاؤها من أقبية المعتقلات عاجزين عن الرؤية، وقتلوا وزير الأوقاف الشيخ محمد حسين الذهبي عام 1977. وحظي القتل بدفاع مرشدتين لتنظيم الإخوان، هما عمر التلمساني ومصطفى مشهور. فهل كان للدكتور أحمد صبحي منصور أن يأمن على حياته بعد اغتيال فرج فودة عام 1992، ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ عام 1994؟

في 22 رمضان، 15 مايو 2020، نشرت صحيفة الأهرام حواراً مع النائبة البرلمانية الدكتورة أمنة نصير أستاذة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، وقد ربطت صعود "الدين الشكلي" منذ سبعينات القرن العشرين وانتشار التشدد بزيادة معدلات الإلحاد، على الرغم من كثرة الجهات والأشخاص الذين يتحدثون في الدين.

المصارحة المهمة أنها لا تنتظر من رجال الأزهر تجديد الفكر الديني، فهؤلاء يشكلون العقول لكي تقول "حاضر ونعم"، دون فهم أو نقد أو تفكير، لذلك كثير التطرف وزاد الإلحاد... نشأوا على الجراة ولا الاستعداد" لقتل القديم، وفق مقولة الشيخ أمين الخولي. وربما تكون هذه الشهادة فصل الخطاب.

المصارحة المهمة لا تنتظر من رجال الأزهر تجديد الفكر الديني، فهؤلاء يشكلون العقول لكي تقول "حاضر ونعم"، دون فهم أو نقد أو تفكير، لذلك كثير التطرف وزاد الإلحاد

المسيحية مع السامر بدل المكوث في الكنائس، حتى اعتنق السامر الدين المسيحي، وانقرضت ديانة السامر. ولأن السامر يعيشون في دولة قوية ومستقرة وعادلة، فلا يسعون إلى المطالبة بدولة مستقلة، ولو كانوا في دول "تحكمها أنظمة مستبدة، فربما كتلت السامر وحاولوا تكوين كيان يحميهم".

وفي مصر يتأسس الاغتيل الديني على أفكار، فينتقل الرصاص من الكتب القديمة، ومن أفواه المرشدين الروحيين ليحصد أرواح الأبرياء، ولا يكون الندم أكثر من بيان لإبراء الذمة يقول فيه حسن البنا إن هؤلاء "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين"، وكان يقصد أعضاء التنظيم السري المسلح الذين اغتالوا رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي في 28 ديسمبر 1948، بعد 20 يوماً من قراره إغلاق المقر العام للجماعة.

ومنذ تأسيس جماعة الإخوان عام 1928 وهي في معية النظام، بدعم كلاهما الآخر، وفي سنوات الفراق تطيش السهام، ولم تحدث عملية تقويض للأفكار الطائفية مثل تلك التي نجح فيها شخص واحد هو القس النرويجي توماس فون ويستين.

هل يجدي الإصلاح الذاتي؟ يخبث التاريخ أن رجال المؤسسات الراسخة، وهم رجال الدين والقضاة والعسكريين، يعادون الثورات، ويقاومون الإصلاح. والاستثناءات تظل استثناءات تؤكد هذه القاعدة. كان الملك فؤاد بعد مؤتمرها الخلافة عام 1925، فاصدر الشيخ علي

وتفضل عن الطرافة يمكن التوقف أمام إحدى دلالاته، ففي عام 1520 جرى "حمام الدم" في ستوكهولم" بإعدام المتهمين بالكفر، وفي عام 1523 أمر الملك الجديد جوستاف فاسا بتحويل السويد من الكاثوليكية إلى البروتستانتية، وفي القرنين التاليين أعدم المئات لاتهامهم بالسحر والزندقة وتبني الكاثوليكية، ونجا السامر لأنهم فنيون.

ثم دم "مستبد السامر" الملك كارل الحادي عشر أماكنهم المقدسة، وقدمهم إلى محاكمة انتهت بحرق "انواتهم الشيطانية"، لكن هذا لم يمنع المعتقد القديم لدى السامر من الاستمرار والانتشار.

الإجراء الأكثر نكاه مارسه "حواري السامر" القس النرويجي توماس فون ويستين، بعزمه على تقويض الديانة السامرية من داخلها، وحصل "على مرسوم يلغي العقوبة على معتقني الديانة السامرية"، وتعلم ديانتهم وناقضهم، حتى نجح في إدخال البعض إلى المسيحية، وانتشرت طريقته في السويد، "وصار القساوسة يناقشون

تطرح أسئلة أولها: من المستفيد؛ ولا يخفى على عاقل أن الإرهاب يغذي الاستبداد، ويرد إليه الروح بمنحه قبيلات للحياء، والغافل يتخيل انتهاء الإرهاب بإعلان الحرب على الإرهابيين في حين تترك أفكار المؤسسة، في مناهج تربوية وتعليم.

لم يسجل التاريخ نجاحاً نهائياً للقوة المتدرجة، من السجن إلى القتل، في القضاء على أفكار ودعوات وادعاء لنبوات، بل إن الاستبداد يمدّ هؤلاء باوهام "الشهادة"، فيتوارثون مظلوميات. أما تفكيك الأفكار فهو كقبيل بئيب الكيان المصمت، لتفريغه من سراب يبلغ درجة العقيدة، ولم تتوقف ثماره المرة التي بلغت حد اغتيال رئيس مصر عام 1981.

في كتابه "شعب السامر" تناول الكاتب الليبي طارق الحاسي أقلية عرقية تعيش في السويد والنرويج وفنلندا وروسيا، ويرون أنفسهم سكان السويد الأصليين. الكتاب أصدرته دار النقافة الجديدة بالقاهرة في مايو 2020، وهو طريف يناسب الحظر الكوروني المستبد،

سعد القرش  
روائي مصري

حتى نهاية مارس 2020 كان الفزع هو وصول عدد مصابي فيروس كورونا في مصر إلى 1000. وبمضي الوقت تحالفت السياسات المتراخية مع اللامبالاة الشعبية، وسجلت إصابات ووفيات في يوم واحد (الأحد 31 مايو) 1536 مصاباً و46 متوفياً. فهل بدأت مرحلة الفلج الوباء، كما نتعاش مع الإرهاب؟

في حياة بلا حياة سنكتفي بإحصاء أعداد ضحايا الوباة، ومتابعة الأمر بمصمصمة شفاه عابرة؛ لأن هؤلاء وهؤلاء مجرد أرقام، كما أن ضحايا الاستبداد أيضاً مجرد أرقام، وإن لم يسلم مواطن، مهما يكن حذراً ومسالماً، من الشعور بأن يكون ضحية أي من هذا الثلاثي المرعب، ويوقوع الكارثة لن يكون رقماً، بل إنساناً له اسم وعائلة وأحبة.

تفكيك الاستبداد يبدأ بالوعي، وبهذا الوعي ينتهي الإرهاب. وفي علم الجريمة

